

تفسير البحر المحيط

@ 171 @ من تلك الأفعال ، حتى يصح ما ذهبتم إليه ؟ فاستعمل قط في غير موضعها ، لأنها طرف للماضي ، وهنا جعلها معمولة ليفعل . وقال الزمخشري أيضاً : ومن الأولى والثانية ، كل واحدة مستقلة تأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم ؛ فمن الأولى للتبعيض ، والجار والمجرور خبر المبتدأ ؛ ومن يفعل هو المبتدأ ، ومن الثانية في موضع الحال من شيء ، لأنه نعت نكرة تقدم عليها فانتصب على الحال ؛ ومن الثالثة زائدة لانسحاب الاستفهام الذي معناه النفي على الكلام ، التقدير : من يفعل شيئاً من ذلكم ، أي من تلك الأفعال . .

وقرأ الجمهور : { يُشْرِكُونَ } ، بياء الغيبة ؛ والأعمش ، وابن وثاب : بقاء الخطاب ، والظاهر مراد ظاهر البر والبحر . وقال الحسن : وظهور الفساد فيهما بارتفاع البركات ، ونزول رزايات ، وحدث فتن ، وتقلب عدو كافر ، وهذه الثلاثة توجد في البر والبحر . وقال ابن عباس : { الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ } ، القطاع فتسده . وقال مجاهد : { فِي الْبَرِّ } ، بقتل أحد بني آدم لأخيه ، وفي البحر : بأخذ السفن غصباً ، وعنه أيضاً : البر : البلاد البعيدة من البحر ، والبحر : السواحل والجزر التي على ضفة البحر والأنهار . وقال قتادة : البر : الفياضي ومواقع القبائل وأهل الصحارى والعمور ، والبحر : المدن ، جمع بحرة ، ومنه : ولقد أجمع أهل هذه البحيرة ليتوجوه ، يعني قول سعد بن عباد في عبد الله بن أبي ابن سلول ، ويؤيد هذا قراءة عكرمة . والبحور بالجمع ، ورويت عن ابن عباس ، وكان قد ظهر الفساد براً وبحراً وقت بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، وكان الظلم عم الأرض ، فأظهر الله به الدين ، وأزال الفساد ، وأخمدته صلى الله عليه وسلم) . وقال النحاس : فيه قولان ، أحدهما : ظهر الجذب في البر في البوادي وقراها والبحر ، أي في مدن البحر ، مثل : { وَاسْتَذِلَّ الْقَرْيَةَ } أي ظهر قلة العشب ، وغلاً السعر . والثاني : ظهرت المعاصي من قطع السبيل والظلم ، فهذا هو الفساد على الحقيقة ، والأول مجاز ، وقيل : إذا قل المطر قل الغوص ، وأحنق الصياد وعميت دواب البحر . وقال ابن عباس : إذا مطرت تفتحت الأصداف في البحر ، فما وقع فيها من السماء فهو لؤلؤ . .

{ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ } : أي بسبب معاصيهم وذنوبهم . { لِيُذِيقَهُمْ } أي أنه تعالى أفسد أسباب دنياهم ومحققهم ، لِيُذِيقَهُمْ وبال بعض أعمالهم في الدنيا ، قبل أن يعاقبهم بها جميعاً في الآخرة . { لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } عما هم فيه . وقال ابن عطية : { بِمَا كَسَبَتْ } : جزاء ما كسبت ، ويجوز أن يتعلق الباء بظهر ، أي بكسبهم المعاصي في البر والبحر ، وهو نفس الفساد الظاهر . وقرأ السلمي ، والأعرج ، وأبو

حياة ، وسلام ، وسهل ، وروح ، وابن حسان ، وقنبل من طريق ابن مجاهد ، وابن الصباح ،
وأبو الفضل الواسطي عنه ، ومحبوب عن أبي عمر . و : لنذيقهم ، بالنون ؛ والجمهور :
بالياء ، ثم أمرهم بالمسير في الأرض ، فينظروا كيف أهلك الأمم بسبب معاصيهم وإشراكهم ،
وذلك تنبيه لقريش وأمر لهم بالاعتبار بمن سلف من الأمم ، قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم . {
كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ } : أهلكهم كلهم بسبب الشرك ، وقوم بسبب المعاصي ،
لأنه تعالى يهلك بالمعاصي ، كما يهلك بالشرك ، كأصحاب السبت . أو أهلكهم كلهم ، المشرك
والمؤمن ، كقوله تعالى : { وَاتَّبَعُواْ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ } .
مِنْكُمْ خَاصَّةً } ، وأهلكهم كلهم ، وهم كفار ، فأكثرهم مشركون ، وبعضهم معطل .
وحيث ذكر امتنانه قال : { اللَّـهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ } ، فذكر الوجود ثم
البقاء بسبب الرزق . وحيث ذكر خذلانهم بالطغيان ، بسبب البقاء بإطهار الفساد ، ثم بسبب
الوجود بالإهلاك . { مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمُ } : يوم القيامة ، وفيه تحذير